بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة اللغة العربية و آدابها

الناشر:

فرديس قم التابع لجامعة طهران

مدير التحرير:

الدكتور محمدعلي عبداللهي

السنة الخامسة، العددالتاسع، خريف و شتاء

۱۴۳۰ـ۱۴۳۱هـ/ ۲۰۱۰ـ۲۰۰۹ م

رئيس التحرير: الدكتور محمدعلي آذرشب (استاذ بجامعة طهران)

الدكتور فيروز حريرچي (استاذ بجامعة طهران)

مدير النشر: الدكتور سيد امير محمود انوار: (استاذ بجامعة طهران)

هادي غفوريان الدكتور صادق آئينه وند: (استاذ بجامعة اعداد المدرسين)

اعادة القراءة و التنقيح: الدكتور خليل پروينى: (استاذ مشارک بجامعة اعداد المدرسين)

الدكتور علي‌رضا محمدرضايي الدكتور سيد محمد مهدي جعفري: (استاذ بجامعة شيراز)

الطبع: الدكتور فيروز حريرچي: (استاذ بجامعة طهران)

مريم عادمي الدكتور غلام عباس رضائي: (استاذ مشارک بجامعة طهران)

مكتب‌الاشتراک: الدكتور محمود شكيب: (استاذ مشارک بجامعة طهران)

صادق گائيني مطلق الدكتور حامد صدقي: (استاذ بجامعة تربيت معلّم)

الكاتب‌بالآلة: الدكتور محمد فاضلي: (استاذ بجامعة فردوسي مشهد)

علي جواد دهقان الدكتور قاسم مختاري: (استاذ مشارک بجامعة اراک)

المطبعة: موسسه چاپخانه و نشر الهادي الدكتور سيد فضل اله ميرقادري: (استاذ مشارک بجامعة شيراز)

الثمن: ۱۵/۰۰۰ ريال الدكتور نادر نظام قراي: (استاذ بجامعة العلامة الطباطبائي)

العنوان: قم ــ بلوار دانشگاه (جاده قديم قمران) صندوق پستي ۳۵۷

رقم البريد: ۳۷۱۸۱۱۷۴۶

التلفون و الفكس: ۶۱۶۶۳۱۲ ــ ۶۱۶۶۲۹۵ ــ ۰۲۵۱

البريد الالكتروني: www.journals.ut.ac.ir

البريد الالكتروني للنشر: Email: sch. Journals@qc.ut.ac.ir

فهرست مطالب

التجارب المكتسبة بترجمة "عمارة يعقوبيان" ۵

جواد اصغري

شيما صابري

ملامح التجديد في شعر البارودي..... ۱۵

حسين ابويساني

نعمان اتق

مقارنة بين ابن الفارض المصريّ و جلال الدين محمد المولوي البلخـــيّ في ضوء خمرياقما الرّوحية.. ۳۳

تورج زيني وند

الوطنية الصادقة في شعر أحمد محرّم..... ۵۷

حامد صدقي

احمدرضا صاعدي

مصطلح التوسّع في معاجم اللّغة (مفهومه وحدوده) ۷۳

محمد صالح شريف عسكري

لشّابي المهاجر بروحه ۹۵

حسين كياني

سيد فضل الله موقادري

نحةٌ مع الشريف الرضي و غزلِه ۱۱۵

قاسم مختاري

راضيه سادات موصفي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة اللغة العربية و آدابها
السنة الخامسة، العدد التاسع، خريف و شتاء ١٤٣٠ــ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ــ٢٠٠٩م
صفحة ٧٣ــ ٩٣

مصطلح التوسّع في معاجم اللّغة
(مفهومه وحدوده)

محمد صالح شريف عسكري*
استاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها جامعة تربيت معلم بطهران
(تاريخ الاستلام: ٨٨/٢/١٤ ؛ تاريخ القبول: ٨٨/٩/٢٣)

الخلاصة

يتناول المقال ظاهرة مصطلح التوسُّع أو الاتِّساع في اللغة وفي كلام العرب، ويتابع كيفية ورود المصطلح في مصادر الدراسات العربية، هذا المصطلح الذي تكرَّر ذِكْرُه على لسان علماء العربية، بعبارات مختلفة، دون أن يقترن بمفهوم جامع، أو قاعدة عامة تُبيِّن حدوده، و مدلوله الصريح.

كما تكرّر الحديث عن مصطلح التوسع اللغوي، في معاجم اللغة، و ذكره المعجميون بعبارات مختلفة، ومتباينة، ومشوبة بعدم الوضوح، لا يجمعها مفهوم واحد، و لا رأي متفق.

ويعنى المقال بصورة خاصة، ببيان طريقة المعجميين في التعامل مع المصطلح المذكور، و عرض مفهومه لديهم، من خلال النصوص التي تضمَّنت المصطلح، وبيَّنت مواطن العمل به،وإنْ تعددت وتباينت أحياناً.

الكلمات الرئيسة:

الاتِّساع في اللغة، التوسُّع في الكلام، الانزياح اللغوي، معاجم اللغة، مصطلح.

*الكاتب المسؤول: هاتف: ٠٩١٢٣١٨٠١٢٥
Email:ms-shaskari@hotmail.com

مقدمة

ان المقال يحاول ــ بإذن الله ــ دراسة مفهوم مصطلح التوسع اللغوي، وتقصّي مجالات العمل به، ومعرفة رأي اللُّغَويين ومصنفي المعاجم في ذلك، يشتمل على مدخل ومبحثين، وخاتمة. عَرَضَ المدخلُ مقاصدَ العلماء من كلمة المصطلح، ثمّ تناول مفهوم مصطلح التوسُّع أو الاتِّساع لغةً واصطلاحاً. ودرسَ المبحث الأوَّل كيفية وُرُودِ المصطلح لدى أئمَّة النحو والبلاغة، أمَّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة المصطلح في مصادر اللغة و المعاجم.كما خُصِّصت الخاتمة لعرض نتائج البحث، ومحاولة عرض المفهوم العام الذي يمكن استنباطه من نصوص المعجميين، وتِبْيَان حدوده.

جاء مصطلح الإتِّساع أو التَّوسُّع في كلام القدامى، أحياناً وكأنَّه أصل من أصول الاشتقاق، وطريقة من طرق توليد الألفاظ والكلام يلجأ إليها المتكلم، إذا أعياه استحصال المطلوب بالطرق المألوفة، كالقياس والاشتقاق من المصدر، وكانت الحاجَةُ ماسَّة للتعبير عن معنى جديد. ووَرَدَ المصطلح تارةً كأنَّه لون مِنْ ألوان المجاز العقلي أو اللغوي، واضطرب القول في ذلك، وتردَّدَ بين هذا وذاك أحياناً أُخر، فلا يُعْلَمُ من العبارات التي تُساق في المصادر أُرِيدَ به مفهومه اللغوي العام، أم أراد به العلماء معنى خاصًّا، شأنه في ذلك شأن كثير من الألفاظ العربية التي خرجت عن مفهومها اللغوي ومعناها القاموسي إلى معنى اصطلاحي كألفاظ النحو والتصريف، والمجاز وغيرها.

إذاً فما معنى مصطلح الاتِّساع أو التوسُّع؟ وكيف تناوله أصحاب والمعاجم؟ و هل هو لون مِنْ ألوان المجاز كما قال به بعض العلماء؟ أو هو طريق للتعبير يلجأ إليها المتكلم عند الحاجة؟ ثم ما حدود ذلك؟ وما هي الشروط التي يجب رعايتها في هذا السبيل، وهل يملك معيارية ثابتة؟

هذه أسئلة تطرح نفسها لمن يتتبَّع هذه الظاهرة في كلام المعجميين القدامى والمحدثين، ويرى ألواناً من العبارات المشوبة بالغموض والاضطراب.

وما مِنْ شك في أنَّ انتشار هذا المصطلح في كتب التراث والدراسات العربية، يدلُّ على أهميته وموقعه لدى علماء العربية. جاء تارةً بلفظ التوسُّع في اللغة أو الكلام، وتارة بلفظ

الاتّساع في لغة العرب، دون أن يقترن ذكر المصطلح في هذه المصادر في الأغلب، كما ذكرت آنفاً، بقواعد وضوابط واضحة تُبين حدود العمل به، ودائرة مفهومه.

والإجابة على الأسئلة المارَّة الذكرِ تقتضي الوقوف على التعريفات التي ساقها العلماء للمصطلح.

كلمة المصطلح:

المصطلحُ لغةً، مشتقة من (صَلَحَ) و (صُلُحَ)، ومن معانيه: ضد الفساد، و الاتفاق؛ لأنّه يقال: تصالح القوم، واصْطَلَحُوا، أي اتّفقوا على الصُّلح.

(مجمل اللغة، ص٤١٤، اللسان،٣٨٤/٧)

ويبدو أنّ العلماء أخذوا هذا المعنى اللُّغوي، وأسَّسُوا عليه مفهوم المصطلح العرفي.(١)

قال الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) «الإصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول،... وقيل الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي الى معنى أخر لبيان المراد» (الجرجاني، ١٩٨٧،ص٥٠)، وقال التهانوي (ت١١٥٨هـ): «الاصطلاح: هو العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسمٍ بعد نقله عن موضوعه الأوّل لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمرٍ أو مشابهتهما في وصفٍ أو غيرها.» (كشّاف..،٨٢٢/٢)

ومن هذه التعريفات نستخلص: أنّ المصطلح «لفظ موضوعي يُؤدّي معنى معيناً بوضوح ودِقّة بحيث لا يقع أيُّ لَبْسٍ في ذهن القاريء أو السامع» (عبدالنور، ١٩٨٢، ص٢٥٢)، فالغرض منه كما هو ظاهر من التعريف، ومن التناسب بينه وبين المعنى اللغوي، هو التعبير عن معنى خاص بلفظ متفق عليه لدى طائفة خاصة.

فشروط المصطلح كما يتبين من هذه التحديدات هي:

اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.

اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى.

وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.

الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد. (مطلوب، ٢٠٠٣، ص٨).

هذه الدلالة جامعة مانعة لا تحتمل التوسع أو الحصر على نحو ما يحدث أحيانا في المفردات والاساليب غير العلمية. (تمّام، ١٥٩)

ومن هنا ننتقل إلى تعريف مصطلح التَّوسُّع أو الإتِّساع في اللغة؛ لمعرفة ما إذا كانت فيه شروط المصطلح الذي عرفه علماء اللغة أم لا.

التعريف بمصطلح التَّوسُّع:

١ــ البعد اللغوي: التَّوَسُّعُ أو الاتِّسَاعُ، من مادة (وَسِعَ):

جاء في العين (٢٠٣/٢):

«الوُسْعُ: جِدةُ الرَّجلِ، وقدرة ذات يده. وأَوْسَعَ الرَّجل: إذا صارَ ذا سَعَةٍ في المال، فهو مُوسِعٌ وإنّه لذو سَعَةٍ في عيشه. وسَيْرٌ وَسِيعٌ ووَساعٌ. ورحمةُ الله وَسِعَتْ كلَّ شيء.»

وفي الصحاح (١٢٩٨/٣):

«وَسِعَهُ الشيء بالكسر يَسَعه سَعَةً. ويقال: أَوْسَعَ الله عليك، أي أغناك. والتَوْسيعُ: خلاف التضييق.

تقول: وَسَّعْتُ الشيءَ فاتَّسَعَ واستَوْسَعَ، أي صار واسِعاً.»

وجاء في اللسان (٢٩٨/١٥):

والسعة: نقيضُ الضِّيق، وقد وَسِعَه يَسَعُه ويَسِعُه سَعَةً. وشيءٌ وَسِيعٌ وأَسِيعٌ: واسِعٌ.

وقوله تعالى: للذين أَحْسَنُوا في هذه الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وأَرْضُ الله واسعةٌ... (الزمر،١٠).

وقال ابن فارس الرَّازي (مقاييس...،١٠٩/٦): «الواو والسين والعين: كلمةٌ تدلُّ على خلاف الضِّيق والعُسْر. يقال وَسُعَ الشَّيءُ واتَّسَعَ».

٢ــ البعد الاصطلاحي:

لم يتفق علماء العربية على تعريف جامع لمفهوم التَّوسُّع، حتى أولئك الذين أفردوا له باباً خاصاً، لم يخرجوا بمفهوم واحد ــ وهم قلة ــ كما يقول السيوطي (الأشباه والنظائر،٣٥/١)، أمثال ابن رشيق (العمدة، ١١٥/٢)، وابن أبي الإصبع المصري (ص٥٠٥)، وجلال الدين السيوطي (الأشباه...،٣٥/١).

فهذا سيبويه، وهو أقدم مَن استخدم فكرة التَّوسُّع عند شرح وتوضيح أمثلةِ الكتاب، لا نجد في أمثلته ما يعطينا مفهوما واضحا وحدوداً بَيِّنة عن فكرة السعة والتَّوسُّع في الكلام. (الكتاب، ١٦٠/١) (٢).

ومثله ابن جني وابن فارس الرازي، فقد تناول كلٌّ منهما الفكرة ولكن لم يقدما ما يشفي الغليل، فابن جني عالجها في كتابيه: الخصائص(٢/٤٤٤)، وسرصناعةالاعراب (٢/١٠١)، كما عالجها ابن فارس، في كتابيه: الصاحبي (ص١٧)، والمجمل(ص٣٨٤)، لكنهما أيضاً لم يقدما مفهوما محدَّداً عن مسألة التَّوسُّع اللغوي، و لم يبيِّنا حدود العمل به، وإن كانت الفكرة عند ابن جني أكثر وضوحاً. و الأمر نفسه عند غيرهما من علماء العربية الذين تناولوا هذه الظاهرة اللغوية مِنْ زوايا أخرى، أمثال محمد بن القاسم الأنباري (الاضداد ٨)، وضياء الدين بن الاثير (المثل السائر،٢/٧٨).

أمَّا أصحاب المعاجم، فهم أيضاً لم يتحدَّثوا عن قاعدة عامة مُطَّردة لفكرة التوسُّع، بالرغم مِنْ وُرُودِها في مواطن عديدة من كلامهم وشروحهم، وهي كثيرة (٣).

المبحث الأول: مصطلح التَّوسُّع عند أئمة النحو والصرف والبلاغة

تمهيد:

تجدر الاشارة هنا إلى أنّ أوَّل مَنْ فتح باب الحديث، في التَّوسُّع اللغوي من علماء العربية، هو العالم الفذ سيبويه (ت١٨٠هـ)، صاحب الكتاب في النحو، ثم تبعه أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢ هـ)، ففصَّل القولَ فيه، وضرب له الأمثال، في كتابه الخصائص، حتى أصبح الخصائص وكتاب سيبويه مصدرا القول في فكرة التوسُّع اللغوي، عند مَنْ جاء بعدهما، أمثال عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)،وضياء الدين بن الأثير(٦٣٨ هـ)، وغيرهما.

_ مصطلح التوسُّع لدى سيبويه: وردت في كتاب سيبويه مشتقات عديدة من جذر هذا المصطلح منها: (توسع_ يتسع _ سعة_ على السعة _ اتساع _ يتوسعون).

لقد استخدم سيبويه فكرة التوسُّع في أبواب عديدة من الكتاب، وقد كفانا مشقة البحث في الكتاب، الدكتور العبيدي بكتابه القيِّم (التوسُّع في كتاب سيبويه) (ص٤١،فمابعد) (٤)، فلا نقف عنده طويلا الّا بقدر الاستئناس بطريقة تعامله مع المصطلح، وإليك بعض أمثلة الكتاب: يقول سيبويه: وتقول: مُطِرَ اللَّيلَ والنهارَ، على الظرف وعلى الوجه الآخر. وإنْ شئتَ رفعته على سَعَة الكلام (الكتاب،١/١٦٠).

ويقول أيضاً: وتقول على هذا الحدِّ: سَرَقْتُ الليلةَ أهلَ الدار، فتجري الليلةَ على الفعل في سَعَةِ الكلام، كما قال: صِيدَ عليه يومان، ووُلِدَ له ستُّون عاماً. فاللفظُ يجري على قوله: هذا

معطي زيدٍ درهماً، وإنّما هو في الليلة، وصِيدَ عليه في اليومين، غير أنّهم أوقعوا الفعلَ عليه لسعة الكلام... (نفسه،١/١٧٦).

و في باب آخر (نفسه،١/٢١١) يورد سيبويه أمثلة عديدة، جاءت على الاتّساع، منها: »ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصار قوله تعالى جدّه: {واسْأَلِ القَرْيَةَ الّتِي كُنّا فيهَا والْعِيرَ الّتِي أَقْبَلْنَا فيهَا }(يوسف،٨٢) إنّما يريد: أهلَ القريةِ، فاختصَرَ، وعَمِلَ الفعلُ في القرية كما كان عاملاً في الأَهْل لو كان هاهنا« (نفسه).

ومثله: {بَلْ مَكْرُ اللّيلِ والنّهَارِ }(سبا/٣٣)، وإنّما المعنى: بَلْ مَكْرُكُم في الليل والنهار. وقال عزّ وجلّ: {ولكنّ البرّ مَنْ آمَنَ بالله،}(البقرة١٧٧) وإنّما هو: ولكنّ البرّ بِرُ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر.(نفسه).

ويلاحظ في هذه الأمثلة أنّ المصطلح رغم تعدد وروده في الكتاب «لم يكن واضح المعالم والحدود» (العبيدي، ٢١٢)، كما يلاحظ في الأمثلة نفسها، وغيرها أنّ سيبويه «كان يعبر عن بعض الأساليب المجازية بلفظ (السعة) و (سعة الكلام) تارة، والاتّساع والتوسُّع تارة أُخرى، والذي لا يبعد مفهومها في عرف البلاغيين كثيراً عن مصطلح المجاز الا من حيث العموم والخصوص، بل ربّما يرادفه في التحليل أحياناً» (العبيدي ١٢٣).

ـ لدى ابن جني:

تحدث ابن جني عن فكرة التوسُّع، وتكرّرت عنده مشتقات مصطلح الاتّساع أو التوسُّع في (باب في فرق بين الحقيقة و المجاز) (الخصائص٢/٤٤٢)، وفي أبواب أخرى (٥)، من كتابه الخصائص، دون أن يشفع كلامه بمفهوم عام يبين حدود المصطلح. فقال: «الحقيقة: ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجاز: ما كان بضد ذلك...، وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتّساع، والتوكيد، والتشبيه».

ثم قال: «فمن ذلك قول النبي (ص) في الفرس: هو بحرٌ. فالمعاني الثلاثة موجودة فيه. أمّا الاتّساع فلأنّه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطِرْف وجواد ونحوها البحر، حتى إنّه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتّساع استعمل استعمال بقية تلك الاسماء». (الخصائص،٢/٤٤٢).

كما تناول ابن جني مصطلح التوسُّع في كتابه "سر صناعة الاعراب"، وأشار فيه الى مورد من موارد استخدامه، وهو التوسُّع في الأعلام (سرصناعة..،٢/١٠١).

ـ ابن فارس الرازي:

وأوردَ أحمد ابن فارس الرَّازي (ت ٣٩٥هـ) مصطلح التوسُّع في كتابه الصاحبي (ص ١٧)، وقال: «العجم لم تتوسَّع في المجاز اتِّساع العرب». لكنه لم يوضح كيف ومتى يجوز التَّوسُّع.

_ **محمد بن القاسم الأنباري** (ت٣٢٧ هـ): وقد عرض في "كتاب الأضداد" فكرة التَّوسُّع، ناقلاً عن قُطْرُب (ت٢٠٦هـ) قوله:

«إنَّما أوقعت العربُ اللفظين على المعنى الواحد؛ ليدلُّوا على اتِّساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر؛ ليدلُّوا على أن الكلام واسعٌ عندهم لا يضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب».

_ **جلال‌الدين السيوطي** (ت٩١١هـ): وقد تحدَّث السيوطي، عن فكرة التَّوسُّع في العديد من مصنَّفاته. وخصَّص له باباً في كتابه "الأشباه والنظائر" تحت عنوان (التَّوسُّع)، واكتفى فيه بنقل أقوال العلماء في الاتِّساع والتَّوسُّع، فنقل عن ابن السراج قوله الذي قصر فيه التوسُّع على الحذف.

كما نقل أقوال علماء آخرين، أمثال ابن حيان، والفارسي، وابن عصفور، وابن مالك، وغيرهم، دون أنْ ينقل عنهم تعريفاً جامعاً. (الأشباه..، ١/٣٥_٣٦).

وتناول السيوطي فكرة التوسُّع أيضاً في كتاب (الاقتراح في علم أصول النحو)، ونقل عن العلماء أقوالهم، وحكى عن ابن جني أنَّ «الاستحسان: دلالته ضعيفة غير مستحكمة الا أنَّ فيه ضرب مِنْ الاتِّساع والتصرف« (الاقتراح، ١٨٠_١٨١).

كما نقل في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) قول قطرب الآنف الذكر (المزهر..، ١/٤٠٠). و لم يقدم لنا في كلِّ ذلك تعريفاً جامعاً عن التوسع اللغوي.

وممن تحدَّثوا عن فكرة التَّوسُّع اللُّغوي، مِنْ علماء البلاغة:

ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، وقد خصَّص له باباً في كتابه العمدة (٢/١١٥)، سمَّاه (باب الاتِّساع)، ورأى فيه أنَّ الاتِّساع هو: «أنْ يقول الشاعر بيتاً فيه التأويل، فيأتي كل واحدٍ بمعنى، وإنَّما يقع ذلك لإحتمال اللفظ وقوته واتِّساع المعنى»، ثم ساق أمثلة من الشعر لتوضيح رأيه، ونقل عن امريءُ القيس، وأبي نواس، وأبي تمام. وتمثَّل ببيت امريءُ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وذكر إختلاف الناس في تأويله. ثم قال: «ومثله قول أبي نواس:

ألا فاسقني خمراً وقُلْ لي هيَ الخمرُ .....

فزعم مَنْ فسَّره أنّه إنّما قال "وقُلْ هي الخمرُ" لِيَلْتَذَّ السمعُ بذكرها كما التذّت العينُ برؤيتها والأنف بشَمِّها واليدُ بلَمْسِها والفمُ بذوقها، وأبونواس ما أظنه ذَهَبَ هذا المذهب، ولاسَلَكَ هذا الشعب، ولا أراه الا الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة، ودليل ذلك أنّه قال في تمام البيت:

..... ولا تَسْقِني سِرًّا إذا أمكَنَ الجهرُ»

فابن رشيق فيما تمثل واستشهد به، من الشعر يرى في التَّوسُّع: أن يتحمل البيت أوْجُهاً من التفسير. و لم يخرج عن هذا التوضيح. (العمدة، ١١٥/٢)

ابن الاثير: وقد تحدَّث ضياء الدين بن الأثير عن فكرة التَّوسُّع في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) عند حديثه عن أقسام المجاز، فقال: «والذي انكشفَ لي بالنظر الصَّحيحِ أنّ المجازَ ينقسمُ قِسْمين: توسُّعٌ في الكلام وتَشْبيه.

والتشبيهُ ضربان: تشبيهٌ تامٌّ، وتشبيهٌ محذُوف.

فالتشبيهُ التَّامُّ: أنْ يُذْكَرَ المشبَّهُ والمشبَّهُ به. والتشبيه المحذوفُ: أن يُذْكَر المشبَّه دُونَ المشبَّه به، ويسمى (استعارة) ....

وأمَّا التَّوسُّع فإنه يُذْكَرُ للتصرُّف في اللُّغة، لا لفائدةٍ أُخرى.

و إنْ شِئْتَ قُلْتَ. إنّ المجازَ يَنْقَسِمُ إلى توسُّعٍ في الكلام، وتشبيهٍ، واستعارةٍ، ولا يخرج عن أحَدِ هذه الأقسام الثلاثة، فأيُّها وُجِدَ كان مجازاً.

فإن قيل: إنّ التَّوسُّعَ شاملٌ لهذه الأقسام الثلاثة؛ لأنّ الخروجَ مِن الحقيقةِ إلى المجاز اتِّساعٌ في الاستعمال...

قلتُ في الجواب: إنّ التّوسُّعَ في التشبيه والاستعارة جاء ضِمْناً وتَبَعاً، وإنْ لم يكنْ هو ــ التوسُّع ــ السببَ الموجِبَ لاستعمالهما.

وأمَّا القسمُ الآخرُ ــ الذي هُوَ لا تشبيهٌ ولا استعارةٌ ــ فإنّ السَّبَبَ في استعماله هوَ طلبُ التوسُّع لاغير». (المثل السائر ٧١/٢)

وقال تحت عنوان: التّوسُّع في الكلام: «وأما القسمُ الذي يكونُ العُدولُ فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركةٍ بين المنقُول والمنقُول اليه، فذلك لا يكونُ الّا لطلب التَّوسُّع في الكلام، وهو سَبَبٌ صالحٌ؛ إذ التوسُّع في الكلام مَطْلُوبٌ.» (نفسه،٧٨/٢)، ثمّ قال «ضربا التوسُّع: وهوضَرْبان:

أحدهما: يَرِدُ على وجهِ الاضافةِ، واستعمالُه قبيح؛ لِبُعْدِ ما بين المضاف والمضاف اليه،...، ولا يَستَعمِل هذا الضربَ مِن التوسُّعِ الا جاهلٌ باسرارِ الفصاحة والبلاغة،...، وأما الضَّرب الآخر من التوسُّع: فإنَّه يردُ على غير وجه الاضافة، و هو حسنٌ لا عَيْبَ فيه.» (نفسه).

و إلى هنا لا يظهر من كلام ابن الاثير مفهوم جامع للتوسُّع، ولا يفهم منه كيف ومتى يُصَار إلى التوسُّع.

وأورد ابن الأثير أمثلة للضرب الأوَّل منها: ... كقول أبي نواس:

بُخٌ صوتُ المالِ مِنْكَ يَشْكُو ويَصيحُ

فقول «بخٌ صوتُ المالِ مِن الكلامِ النازلِ بالمرَّة، ومراده مِنْ ذلك أنّ المال يَتَظَلَّم مِنْ إهانَتِك إيَّاه بالتَّمْزِيق، فالمعنى حَسَنٌ، والتعبير عنه قَبيحٌ» (نفسه، ٧٩/٢)

وعن الضرب الثاني يقول: «أمَّا الضرب الآخر من التوسُّع: فإنَّه يرد على غير وجه الاضافة، وهوحسنٌ لا عَيْبَ فيه. وقد ورد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهْيَ دُخَانٌ فَقَالَ لها وللأرضِ ائْتِيَا طَوْعاً أوكَرْهاً قالتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (فصلت،١١)

فنسبة القول إلى السماء والأرض مِنْ باب التَّوسُّع؛ لأنَّهما جَمَادٌ، والنُّطقُ إنَّما هو للإنسان لا للجمادِ، ولا مُشاركةَ هاهنا بينَ المنقُولِ والمنقُولِ إليه.». (نفسه، ٨١/٢)

وفي هذين المثالين الذين ساقهما، وغيرهما، يُبيِّنَ لنا ابن الاثير ما يَحْسُنُ وما يَقْبُحُ مِنْ مواطن التَّوسُّعِ، دون أنْ يَتطرَّقَ إلى مفهوم عام أو قاعدة مُطَّرَدة. (۶)

_ **عبد القاهر الجرجاني**: ويتحدَّث الجرجاني عن فكرة الإتِّساعِ، في مواطن عديدة من كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الاعجاز. وعند حديثه عن الاستعارة، وأقسامها، يقول:

«ثم إنها تنقسم أولاً قسمين: أحدهما: أنْ لا يكون لنقله فائدة. والثاني: أنْ يكون له فائدة. وأنا أبدأ بذكر غير المفيد، فإنَّه قصير الباع، قليل الاتِّساع، ثم أتكلم على المفيد الذي هو المقصود. وموضع هذا الذي لا يفيد نقله، حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التَّوسُّع في أوضاع اللغة والتَّنوُّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها،

كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع الشفة للإنسان، والمشفر للبعير، والجحفلة للفرس، وما شاكل ذلك من فروق،... وأمَّا المفيد فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض...» (أسرارالبلاغة، ٢١٢ـ٢١٥).

و في كتاب (دلائل الإعجاز) يوضح الجرجاني فكرة التوسُّع، فيقول فيه: «اعلم أنَّ طريق المجاز والإتِّساع في الذي ذكرناه قبلُ، أنَّك ذكرت الكلمة، وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو رِدفٌ له، أو شبيه، فتجوَّزتَ بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه» (دلائل..،٢٢٧)، ثم يسوق أمثلة عنها، فيقول: «والمثال فيه قولهم: نهارك صائمٌ، وليلك قائمٌ، ونام ليلي وتجلّى همّي، وقوله تعالى: فما رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ (البقرة/١٦)... أنت ترمي مجازاً في هذا كلّه ولكن لا في ذوات الكلامِ وأنفُسِ الألفاظِ، ولكن في أحكامٍ أجريتْ عليها».

ويعقب الجرجاني كلامه بقوله: «وهذا الضَّربُ مِن المجازِ على حدته كنزٌ من كنوز البلاغة ومادَّة الشاعر والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والإتِّساع في طرق البيان» (نفسه...، ٢٢٨)

ـ **السبكي، بهاء الدين**، وقد حدَّ الاتِّساع، في كتابه "عروس الأفراح" فقال: «هو كلُّ كلامٍ تتَّسعُ تأويلاته فتتفاوت العقولُ فيها لكثرة اكتمالاته لنكتة ما كفواتحِ السُّورِ»، (شروح التلخيص، عروس..،٤٦٩/٤)، وكأنَّه يتفق وابن رشيق، (١١٥/٢).

و نختتمُ حديث البلغاء عن فكرة التوسُّع بكلام العلوي اليمني، صاحب (كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز)، الذي أوضح رايه في التوسُّع بعبارات جلية، تفوق جلاء وتحديداً كلام الآخرين، كما يظهر من سياق كلامه، وإنْ كان حديثه لا يعطي كلَّ ما ترجوه النفس، ممَّا يقتضيه تعريف المصطلح، الذي مرَّ آنفاً. وهذا حديثه: «اعلم أنَّ التوسُّع، اسم يقع على جميع الأنواع المجازية كلها، واشتقاقها من السعة. وهو نقيض الضِّيق، فالضِّيقُ قصرُ الكلامِ على حقيقته من غير خروجٍ عنها، والتَّوسُّع شاملٌ لما ذكرناه مِنْ أنواع المجازات، فإطلاق التَّوسُّع على ما يندرج تحته مِنْ أنواعِ المجاز بمنزلةِ إطلاق الكلمةِ على ما يَنْدرجُ تحتها مِنْ أنواع الاسم والفعل والحرف، وهكذا اسم المجاز، فإنه شاملٌ لانواعه مِن الاستعارة والكناية والتَّمثيل، فهما سيَّان كما ترى في إفادة ما تحتهما مِنْ هذه الأنواع، وليس مختصين بنوعٍ مِن المجاز دُونَ نوعٍ. (١٩٧/١) (٧).

المبحث الثاني: مصطلح التوسُّع في معاجم اللغة

تمهيد

تجدر الاشارة في البداية، إلى أنّ طائفة من المعاجم العربية، لم تذكر مصطلح التوسُّع أو الاتِّساع، أمثال: معجم العين للخليل الفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري، وجمهرة اللغة لابن دريد، والبحر المحيط للصاحب بن عبَّاد، والبارع لأبي علي القالي. ولعل السبب الذي صرفهم عن العناية بهذا المصطلح، وجعلنا نفتقده، في هذه المعاجم، هو إهتمامهم بجمع مفردات اللغة، والوقوف على معاني أصول الألفاظ العربية، دون الخوض في العلاقات اللغوية التي تربط المفردات، بمعانٍ مشتركة، أو استخدامات مجازية.

أمَّا المعاجم التي عُنيتْ بفكرة التَّوسُّع وعَرَضَتْ مسائله بالفاظ وعبارات مختلفة، فهي:

ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، وقد وردت فيه، فكرة التوسُّع اللغوي، مع كلمتي (اتِّساع ـ يُتَّسع). قال الجوهري، تحت مادَّة (رزق،٤/١٤٨١):

«وقد يُسَمَّى المطر رِزْقاً، وذلك قوله عزَّوجلّ: (ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رزقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْض)(الجاثية/٥)، وقال عزّ وجل: (وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ)(الذاريات،٢٢)، و هو اتِّساعٌ في اللغة..»

وقال تحت مادة (أخا،٦/٢٢٦٤):

الأخُ أصله أخَوٌ بالتحريك..؛ لأنَّك تقول في التثنية أخوانِ،.. ويجمع أيضاً على إخوانٍ،..، وعلى إخْوَةٍ وأُخْوَةٍ عن الفرّاء.وقد يُتَّسعُ فيه فيراد به الاثْنَانِ كقوله تعالى: (فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ) (النساء،١١)

ـ المحكم و المحيط الأعظم، وجاء الحديث فيه عن فكرة التَّوسُّع، من خلال مفردات (التوسُّع ـ الاتِّساع ـ اتِّساعاً)، قال ابن سيده: تحت مادة (حي،٣/٣٩٥):

وحَيْوَةُ: اسمُ رجلٍ، قلبت الياء واواً لضربٍ مِن التَّوسُّع وكراهةٍ لتضعيف الياء.

وتحت مادة (سهر،٤/٢١٥) قال:

وقالوا: ليل ساهِرٌ، أي ذو سَهَرٍ، كما قالوا: ليلٌ نائمٌ، وقول النابغة:

كَتَمْتُكَ ليلا بالجَمُومَينِ ساهِرا ... وهَمَّينِ: هَمًّا مُسْتَكِنًّا وظاهِرا

جوز أن يكون ساهراً نعتًا لليل،... جعله ساهراً على الاتِّساع.

و تحت مادة (قصد،١٨٥/٦): نقل ابن سيده قول ابن جني و لم يزد عليه:

فإذا رأيت القصيدة الواحدة قد وقع عليها "القصيد" بلا هاء، فإنما ذلك لأنه وضع على الواحد اسم جنس اتِّساعاً.

وتحت (عصر،٤٢٨/١):

وقالوا: هذه العَصْر، على سَعةِ الكلام، يريدون: صَلاة العَصْر.

وتحت (على،٢١٥/١):

و علينا أمير كقولك: عَلَيْه مال، لأنه شيء اعتلاه، وهذا كالمثل، كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه فقد يَتَّسِعُ هذا في الكلام.

و تحت (جنس،٢٧٥/٧):

و قول المتكلمين: تجانس الشيئان، ليس بعربي، إنما هو تَوسُّع.

و في أساس البلاغة، دلَّ الزَّمخشري على التَّوسُّع اللغوي، بلفظة (الاتِّساع).

جاء تحت (ضول، ٢٦٠):

«خرج و في يده ضالَة: قوس،...، ويقال: خرج فلان بضالَتِه، وإنَّه لكامل الضَّالَة: يرادُ السِّلاح كلّه على سبيل الاتِّساع.»

ـ وفي اللسان، تحدَّث ابن منظور عن ظاهرة التوسُّع اللغوي، واستخدم للتعبير عنها مفردات عديدةً من مشتقات (وس ع) منها: (توسع ـ اتسعوا ـ اتساعاً ـ الاتساع ـ اتساع ـ سعة).

قال تحت (رمم،٣٢٣/٥):

قال ابن الأثير في تفسير حديث عليٍّ [ع]: الرُّمَّةُ، بالضم، قطعة حبْل يُشَدُّ بها الأسير أو القاتل الذي يُقاد إلى القصاص أي يُسلَّم إليهم بالحبل الذي شُدَّ به تمكيناً لهم منه لئلا يَهْرُبَ، ثم اتَّسَعوا فيه حتى قالوا أخذت الشيء برُمَّتِهِ وبزَغْبَرِهِ وبجُمْلَتِه أي أخذته كله لم أدع منه شيئاً.

و قال تحت (أو،٢٧٦/١):

وأوْ: حرف عطف...، وتكون بمعنى بل في توسُّع الكلام.

و قال تحت (شحن،٣٩/٧):

والشُّجْنة والشِّجْنة: الرَّحِمُ المشتبكة. وفي الحديث: الرَّحِمِ شِجْنة من الله مُعَلَّقة بالعرش تقول: اللهم صِلْ من وَصَلَني واقْطع من قطعني، أي الرَّحِمُ مشتقة من الرَّحْمن تعالى؛ قال أبو عبيدة: يعني قَرابةٌ من الله مشتبكة كاشتباك العروق، شبهه بذلك مجازاً أو إتّساعاً.

و قال تحت (سبت، ١٤٠/٦):

و في تسمية النعل المُتَّخَذَة من السِّبْت سِبْتاً اتِّساعٌ، مثل قولهم: فلان يَلْبَسُ الصوفَ والقُطْنَ والإِبْرَيْسَمَ أي الثياب المُتَّخَذَة منها.

وتحت (طيب) في اللسان (٢٣٣/٨):

الطِّيبُ، على بناء فِعْل، والطَّيِّب، نعت. وفي الصحاح: الطَّيِّبُ خلاف الخَبيث؛ قال ابن بري: الأمر كما ذكر، إلا أنه قد تتسع معانيه، فيقال: أرضٌ طَيِّبة للتي تَصْلُح للنبات؛ وريحٌ طَيِّبَةٌ إذا كانت لَيِّنةً ليست بشديدة.

و تحت (رحب)، في اللسان (١٦/٥):

ورَحَبةُ الثُّمام: مُجْتَمَعُه ومَنْبِتُه. ورَحائبُ التُّخوم: سَعَةُ أَقْطارِ الأَرض.

والرَّحَبةُ: مَوضِعُ العِنَب، بمنزلة الجَرينِ للتَّمر، وكلُّه من الاتساع.

وتحت (ردع)، في اللسان (١٨٨/٥):

ومن جعل الردْع العنق فالتقدير وكب ذاتَ رَدْعه أي عنُقه فحذف المضاف أو سمى العنُق رَدْعاً على الاتِّساع.

وتحت (سهر)، في اللسان (٤٠٩/٦):

وقالوا: ليل ساهر أي ذو سَهَر، كما قالوا ليل نائم؛ وقول النابغة:

كَتَمْتُكَ لَيْلاً بالجَمُومَيْنِ ساهرا ... وهَمَّيْنِ: هَمّاً مُسْتَكِنّاً وظاهرا

يجوز أن يكون ساهراً نعتاً لليل جعله ساهراً على الاتِّساع، وأن يكون حالاً من التاء في كتمتك.

وتحت (كلم)، في اللسان (١٤٧/١٢):

وقد يستعمل الكلام في غير الإنسان؛ قال:

كَ فَصَبَّحَتْ، والطَّيْرُ لَمْ تَكَلَّمِ ... جابِيةً حُفَّتْ بِسَيْلٍ مُفْعَمِ

وكأنّ الكلام في هذا الاتّساع إنّما هو محمول على القول، ألا ترى إلى قلة الكلام هنا وكثرة القول؟

ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: وجاءت فكرة الاتساع اللغوي فيه، ضمن صور تعبيرية مختلفة مذكورة، بمفردات (اتسعوا ـ التوسع ـ الاتساع ـ اتساعا ـ يتسعون).

جاء تحت (شحب،٣/٩٩):

«وكَانُوا يُسَمُّونَ القِرْبَةَ شَحْبَاءَ، وكانوا لا يُمْسِكُون القِرْبَة إلاّ مُعَلّقَة، فالعُودُ الّذِي تُعَلّق فِيهِ هو المِشْجَب حَقِيقَة، ثم اتّسَعُوا فَسَمَّوْا ما تُعَلّق فِيه الثِّيَابُ مِشْجباً تَشْبِيهاً بِهِ».

و جاء تحت (صرع،٢١/٣٢٩):

«قال: أَعْدَى عَدُوٍّ لك نفسُك التي بين جَنْبَيْكَ، وهذا من الألفاظ التي نقلها اللغويون عن وضعها لِضَرْبٍ من التَّوَسُّع والمجاز، وهو من فصيح الكلام لأنه لما كان الغضبانُ بحالة شديدة من الغَيْظِ، وقد ثارَتْ عليه شهوة الغضب فقَهَرها بحلمه وصَرَعَها بثباته، كان كالصُّرَعَةِ الذي يَصْرَعُ الرجالَ ولا يَصْرَعُونه.»

وجاء تحت (بلط،١٩/١٦٦):

«وفي حديث جابر: عقلت الجملَ في ناحيةِ البَلاطِ؛ قال: البلاطُ ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ثم سمي المكان بَلاطاً اتّساعاً، وهو موضع معروف».

وجاء تحت (قول،٢٢/٢٣٦):

«وقال ابنُ الأنْباريّ اللُّغَويُّ: قالَ يجيءُ بمعنى تكلّمَ، وضَرَبَ، وغَلَبَ، ومات، ومالَ، واستراحَ، وأَقْبَلَ، وهكذا نقله أيضاً ابنُ الأثير، وكلُّ ذلك على الاتّساعِ والمَجاز».

ووَرَدَ تحت (خرب،٢/٣٣٩):

«والخَارِبُ: سارِقُ الإبِلِ خاصَّةً، ثم نُقِلَ إلى غيرِهَا اتّسَاعاً».

وتحت (خلع،٢١/٤٤٦):

«وخُلِعَ الوَالِي، أَيْ عُزِلَ، كما في الصّحاح وقالَ ابْنُ الأَثِيرِ: سُمِّيَ الخَلْعُ والخَلِيعُ هُنَا اتّساعاً، لأَنَّهُ قد لَبِسَ الخَلافَةَ والإمَارَةَ ثمّ خَلَعَها».

وتحت (دثر،١١/٢٧٠):

«الدُّثُورُ: الدُّرُوسُ. وقد دَثَرَ الرَّسْمُ وتَداثَرَ ودَثَرَ الشيءُ يَدْثُرُ دُثُوراً وانْدَثَر: قَدُمَ ودَرَسَ؛ واستعار بعض الشعراء ذلك للحَسَبِ اتساعاً فقال:

في فِتْيَـــةٍ بُسُـــطِ الأَكُـــفِّ مَسَـــامِحٍ عنـــد القِتـــــالِ قَـــدِيمُهُمْ لم يَـــدْثُرِ

أي حَسَبُهُمْ لم يَبْلَ ولا دَرَسَ».

وتحت (خرق،٢١٩/٢٥):

«والخرق بالكسر والخريق كسكيت الرجل السخي الكريم الجواد يتخرق في السخاء يتسع فيه وهو مجاز».

وتحت (بكر،٢٣٦/١٠):

«منصوباً على أنه مفعولٌ ثانٍ، أو إرادَةِ خَبَرِ سِنّ، أو في سِنّ، فحُذِفَ المُضَافُ أو الجـارُّ على الوَجْهَيْن ورَفْعُه على أنه جَعَلَ الصَّدْقَ للسِّنِّ تَوسُّعاً».

موقف المعاصرين من ظاهرة التوسُّع اللغوي:

يعتقد المعاصرون أنّ التَّوسُّع اللغوي مظهرٌ من مظاهر التطور الدلالي، إذ أنّ ألفاظ اللغة ــ أيّة لغة ــ قلّما تحتفظ بمعناها الأولي، ولا تتّسع دلالتها أو تنكمش،كأن تخـرج مـن معناهـا الخاص الى معنى عام، أو بالعكس، أو تتعدد دلالاتها. (عبد اللطيف، ١٤٢٠ هـ. ق، ٨٦،٨٧)

غير أنّهم يختلفون في مناحي التَّوسُّع الدلالي، وأشـكاله، ودوافعـه. فصـبحي الصـالح (ص٢٩٢، ٣٠٢)، يعتبر الترادف والمشترك اللفظي والأضداد من مظاهر الاتّساع في العربيـة، لكنه لا يحدّه أو يعطي بياناً بالمساحة المسموحة بها في التَّوسُّع. والأمر نفسه عندما يتحدث عن فكرة التوسع اللغوي، في باب النحت، أو الاشتقاق الكُبّار، فاسمعه يقول (ص٢٦٤): «كلمـا امتد الزمان بالناس ازداد شعورهم بالحاجة الى التوسع في اللغة عن طريق هذا الاشتقاق الكُبّار، وانطلقوا يؤيدون (شرعية) ذلك التوسُّع اللغوي بما يحفظونه من الكلمات».

و إلى نفس الرأي يذهب رمضان عبد التواب (فصول، ... ص ٣٢٣)، وأحمد محمـد قـدوره (مدخل..، ٢٨٥، ٢٨٨)، ويقول الأخير عن الأضداد: «فالمثبتون_للاضداد_ كثرة، وأدلتهم وافرة. وهم يعدّون الأضداد من باب الاتساع في كلام العرب. فالعرب تصرفت بالكلام لعلل منها ما نعرفها، ومنها ما نجهله».

و فندريس (ص ٢٤٢) يعالج مسالة التوسُّع من موقع وظيفي، ويقول: «الكلمة لها علـى وجه العموم من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات»، ويرى أن الاستعمال المجازي هو مـن

أشكال التطور الدلالي للغة والذي يأتي عن طريق توسيع المعنى أو تضييقه أو نقله، ويرى أيضاً أن تضييق المعنى أو توسيعه يعد ضربا من المجاز. (فندريس، ١٣٧٠ هـ .ق، ٢٥٦_٢٥٨)

و يرى نخبة من النقاد العرب المعاصرين، أنّ المجاز عند البلاغيين العرب القدامى، وعند (جان كوهن)، من النقاد الغربيين ليس الا «ما عناه الاسلوبيون من مفهوم (الاتساع)، حيث تكون إمكانية التعدد الدلالي للفظ أو التركيب اللغوي الواحد» (معتوق ١٠٥).

وإنما استحب الشعراء والكتاب التجوز بما فيه من اتساع؛ ولأنّه «يقطع هذه الرتابة التي تستولي على الكلمات التي أصابتها كثرة الاستعمال» (عبد الجليل،١٤٠). خاتمة البحث والنتائج: وبها نقترب من الإجابة على السؤال الذي طرحناه في بداية البحث:

هل يملك مصطلح التوسع اللغوي معيارية ثابتة؟ فنقول:

إنّ مصطلح التوسع اللغوي كان راسخا عند الاوائل من علماء اللغة والنحو والبلاغة.

إنّ أغلب التعبيرات التي جاءت عن العلماء تشير إلى عللٍ استعمالية (٨)، تُبيِّن الحكمة من التَّوسُّع اللغوي، والفائدة من استخدامه.

إنّ المصطلح إستخدم بدلالات مختلفة، ولم ينحصر إطلاقه على جانب واحد من مسائل العربية، كالنحو، والبلاغة، واللغة. وهذا يعني أنّه لم يرد عند العلماء والباحثين، بمفهوم واحد، متفق عليه؛ فهم يطلقونه تارة على المجاز العقلي، والمجاز المرسل، وغير المرسل، وتارة على غير ذلك (٩).

ونخلص من فحوى كلام العلماء إلى أنّ المجاز بمفهومه العام، هو الطريق إلى التوسُّع، ومثله الترادف والمشترك اللفظي، والنحت أو الاشتقاق الكبار، وأنّ القواعد التي يجب أنْ تحكم التوسع اللغوي، في الاستعملات المجازية ــ وإن لم يصرح بها العلماء ــ هي نفسها التي جعلها العلماء، للمجاز بشقيه: المرسل وغير المرسل، كذا المجاز العقلي؛ لأنّ «التوسُّع، اسم يقع على جميع الأنواع المجازية كلها» (الطراز،/١٩٧)

الخاتمة

و تأسيساً على هذا، فإنّ التوسع اللغوي، أو الانزياح اللغوي، كما يسميه بعض المعاصرين (معتوق ٩٩)، ليس الا الغرض الذي يقصده الشاعر والناثر من أساليب التجوز، وغيرها. وما الاتِّساع أو التَّوسُّع في اللغة والكلام، في كلام الأقدمين الا وصف للعملية التي تخرج الكلمة

والتراكيب بمقتضاها، بالمجاز أوغيره، عن الحدود المرسومة لها، (الفاكهي ١٥). و (حدُّ الكلام)، عند العلماء يقابله (سعة الكلام) (الخصائص،٢/٤٤٤)، وإنما يصار إلى الأخير بسائر الاساليب العدولية التي أقرها العلماء، كالمجاز، والترادف، والاشتراك اللفظي وغيرها، مما يقتضيها الخطاب.

أنّ المصطلح لم يجد المعيارية الثابتة، و لم يحظ بشروط المصطلح، وخصائصه الحدِّية التي وضعها العلماء. و لم يمتلك معيارية المصطلحات اللغوية والنحوية والبلاغية الشائعة بين المحققين، لا عند القدامى منهم ولا المعاصرين. غير أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، الذي لا يرى قياسية التوسع، (الفروق اللغوية، ٢٢).

وللاجابة على السؤال الذي طرحناه آنفاً يمكننا أنْ نقول: إنّ القول الجامع الذي تطمئن إليه النفس ويرتاح له الفكر عن التوسع، أنّه خروج عن أصل اللفظ و الكلام، إلى غيره من ألوان الكلام، كالمجاز، والمشترك اللفظي، والنحت.

و يبقى القول الفصل لجامع اللغة ؛ لتخرج برأي موحد، ومفهوم متفق عليه، ينهي تعدُّد، و تباين التفاسير الموجودة، لمصطلح التوسع أو الاتساع.

أماً أنا فقد أدليت بدلوي. وأحمد الله، أوّلاً وأخيراً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الهوامش

١ــ راجع جهود العلماء خاصة جهود المتكلمين المسلمين والفلاسفة في وضع المصطلحات: البيان والتبيين للجاحظ (ص، ١٠٦)، «وفلسفة اللغة عند الفارابي تاليف عفيفي» ص١٠٨.

٢ــ يراجع: الكتاب (١/١٦٠، ١٧٥، ٢١٢، ٣٣٧، ٢٣٠، ٣٦٣، ٣٩٠، ٢/٥١).

٣ــ إكتفيت بنقل ما يتسع له مجال المقال، خشية الإطالة، فالتراجع في المعاجم التي اكثرت الاشارة اليها كاللسان، وتاج العروس.

٤ــ لقد أفدنا من هذا الكتاب القيِّم، فحقَّ التنويه به.

٥ــ يراجع الخصائص، صص ١/٢٢، ٢٣، ٦٤، ١٣٣، ٢٥٦، ٢٩٠، انظر: ٢/٣٦٢، ٢٠٤، ١٧٧، و أيضاً: ٣/٣١٠، ١٨٩، ٤٦)

٦ــ يراجع أيضاً، المثل السائر،١/ ٥٨، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٦٦، ٣٦٣

٧ــ راجع للمزيد: الطراز(١/٧٧، ٨٢)، وكذلك أبي حاتم الرازي، كتاب (الزينة في الكلمات الاسلامية)، الذي يرى أيضاً: أن التوسع لون من المجاز (ص٧٦).

٨ ــ للمزيد يراجع، محمد العبيدي، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، ٢٧٦.

٩ــ يراجع ما استشهدنا به من كلام ابن رشيق، (العمدة،٢/١١٥)، وابن الانباري (الاضداد ٧،٨)، والطراز ١/١٩٧، و غيرها.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبي الاصبع المصري، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م)، **"تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن"** ٥٨٥ـ٦٥٤ هـ ، حققه الدكتو حفني محمد شرف ـ القاهرة.

٢. ابن الاثير، ضياء الدين، **"المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر"**، تقديم و تعليق: دكتور احمد الحوفي ودكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢، بلات.

٣. ابن جني، ابو الفتح عثمان، **"الخصائص"**، حققه محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، بلات.

٤. ـــــــــــــ ، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، **"سِرُّصناعةِ الاعراب"**، تحقيق محمدحسن محمد حسن اسماعيل،بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

٥. ابن دريد، أبوبكر بن الحسن، (١٩٨٧م)، **"الجمهرة في اللغة"**، تحقيق الدكتور رمزي منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١.

٦. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٥م)، **"العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده"**، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية.

٧. ابن سيده، أبو الحسن بن اسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده (٢٠٠٠ م)، **"المحكم والمحيط الأعظم"**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

٨. ابن عباد، الصاحب، (١٩٧٥م)، **"المحيط في اللغة"**، تحقيق الشيخ محمدحسن آل ياسين، بغداد.

٩. ابن منظور الافريقي، (١٩٨٨م)، **"لسان العرب"**، علق عليه علي شيري، بيروت، داراحياء التراث العربي.

١٠. أبو حاتم الرازي، احمد بن حمدان، **"كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية"**، تحقيق عبد الله سلوم السامرائي بلات بلاط.

١١. الأزهري، ابومنصور محمد بن احمد، (٢٠٠٠م)، **"تهذيب اللغة"**، اشراف محمد عوض،بيروت، دار احياء الراث العربي، ط١.

١٢. الأنباري، محمد بن القاسم، (١٩٩٨م)، **"كتاب الأضداد"**، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، المكتبة العصرية.

١٣. التهانوي، الأجل المولوي محمد علي بن علي، (١٩٨٤م)، **"كتاب كشاف اصطلاحات الفنون"**، اسنبول، دار قهرمان للنشر والتوزيع.

١٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب، **"البيان والتبيين"**، تحقيق حسن السندوبي، مصر ـ القاهرة، المطبعة التجارية الكبرى، ط ١٣٤٥،١ـ١٩٢٦.

١٥. الجرجاني الحنفي، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني، **"التعريفات"**، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٦. الجرجاني، الامام عبد القاهر، (١٩٧٨ م)، **"دلائل الاعجاز"**، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ .

١٧. ـــــــــــــ ، **"أسرار البلاغة"**، دراسة و تحقيق الدكتور على رمضان الجرمي، مالطا، ٢٠٠١ م.

١٨. الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، **"الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)"**، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦ م.

١٩. حسان، الدكتور تمّام، **"اللغة بين المعيارية و الوصفية"**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨ م.

٢٠. الرّازي، الشيخ أبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، **"الصاحبي"**، تحقيق السيد احمد صقر، القاهرة، طبع مطبعة البابي الحلبي وشركاه، بلات.

٢١. ـــــــــــــ ، (١٩٩٤ م)، **"مجمل اللغة"**، حققه الشيخ شهاب الدين أوعمرو، بيروت، دار الفكر،بلاط، ١٤١٤هـ .

٢٢. ـــــــــــــ ، (١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م)، **"مقاييس اللغة"**، تحقيق عبد السلام هارون، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، ط٢.

٢٣. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، **"تاج العروس من جواهر القاموس"**، تحقيق عبد الستار احمد فراج، الكويت، دار الهداية.

٢٤. الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، **"أساس البلاغة"**، بيروت، دار صادر ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م.

٢٥. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر (١٩٧٧ م)، **"الكتاب (كتاب سيبويه)"**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢.

٢٦. السبكي، بهاء الدين، **"عروس الافراح ضمن"**، شروح التلخيص، بيروت، نشر دار الاشاد الاسلامي، بلا.ت).

٢٧. السيوطي جلال الدين (١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م)، **"الأشباه والنظائر في النحو"**، راجعه وقدم له الدكتور فايز ترحيني، بيروت ط ١.

٢٨. ـــــــــــــ ، (١٣٩٦هـ ـ١٩٧٦م)، **"الاقتراح في علم اصول النحو"**، تحقيق الدكتور احمد محمد قاسم، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ١.

٢٩. ـــــــــــــ ، **"المزهر في علوم اللغة و أنواعها"**، تحقيق محمد جاد المولى و زميليه، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، بلات.

٣٠. الصالح: الدكتور صبحي (١٩٧٦م)، **"دراسات في فقه اللغة"**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٦.
٣١. عبد التواب، دكتور رمضان (١٩٩٩ م)، **"فصول في فقه العربية"**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٦.
٣٢. عبد الجليل، محمد بدري، **"المجاز وأثره في الدرس اللغوي"**، بيروت، دار النهضة العربية.
٣٣. عبد اللطيف (١٤٢٠هـ)، **"الدكتور محمد حماسة"**، النحو الدلالي، القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٤. عبد النور، جبور (١٩٨٤ م)، **"المعجم الادبي"**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢.
٣٥. العبيدي، الدكتور عادل هادي حمّادي، **"التوسع في كتاب سيبوية"**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بلات.
٣٦. العسكري، أبو هلال (١٣٥٣ هـ)، **"الفروق اللغوية"**، ايران ـ قم، منشورات مكتبة بصيري.
٣٧. العلوي اليمني، السيد الامام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم (١٩٨٢م)، **"الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز"**، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٨. عفيفي، الدكتورة زينب (١٩٩٧م)، **"فلسفة اللغة عند الفارابي"**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٩. الفاكهي، جمال الدين عبد الله ابن احمد (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، **"شرح الحدود النحوية"**، تحقيق الدكتور محمد الطيب الابراهيم، بيروت، دارالنفائس، ط ١.
٤٠. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (١٤٠٥ هـ)، **"كتاب العين"**، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، ايران ـ قم، منشورات دار الهجرة، ط١.
٤١. فندريس، اللغة (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م)، **"تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص"**، القاهرة، مكتبة الانجلو.
٤٢. الفيروزآبادي، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب (١٩٩١م ـ ١٤١٢هـ)، **"القاموس المحيط"**، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١.
٤٣. القالي البغدادي، أبوعلي اسماعيل بن القاسم، (١٩٧٥م)، **"البارع في اللغة"**، تحقيق هاشم الطعان، بيروت، دار الحضارة العربية،ط١.
٤٤. قدورة، الدكتور احمد محمد (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، **"مدخل الى فقه اللغة العربية"**، بيروت، دار الفكر المعاصر،ط٢.
٤٥. مطلوب، الدكتور أحمد (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، **"في المصطلح النقدي"**، بغداد، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي.
٤٦. نعناعة، احمد محمد (٢٠٠٦ م)، **"اللغة العليا دراسة نقدية في لغة الشعر"**، الدار البيضاء ـ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط١.